

العصر العباسي الثالث

عصر النفوذ البويهى

(٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٦ - ١٠٥٥ م)

ظهور البويهيين

يرجع اصل البويهيين إلى الديلم الذين استوطنوا المنطقة الواقعة بين طبرستان والجلال وجيلان و بحر الخزر وجزء من أذربيجان وبلاد الران من جهة الغرب^(١) وكانوا يدينون بالوثنية في بادىء امرهم، ثم انتشر الإسلام بينهم في بداية القرن الرابع الهجري على يد الحسن بن علي الزيدى الملقب بالاطروش^(٢).

وقد ارجع بعض المؤرخين نسب البويهيين الى سابور ذى الأكتاف^(٣)، في حين نسبهم البعض الآخر إلى قبيلة ضبة العربية. والواقع أن البويهيين هم قبائل فارسية تتكلم اللغة الفارسية بلهجة محلية، ولا صلة لهم بالعرب. ويبدو أن هؤلاء المؤرخين اصفوا على البويهيين نسبا عريقا لرفع مكانتهم بعد أن تم لهم السيطرة على اجزاء كبيرة من العالم الاسلامي وبسطوا نفوذهم على دار الخلافة^(٤)

وكانت الأسرة البويهية تتكون من اخوة ثلاث هم : علي والحسن واحمد أبناء أبى شجاع بويه بن فناخسرو، وكان بويه هذا رجلا من عامة الناس، يتعيش من صيد السمك بناحية بحر قزوين من بلاد الديلم^(٥) وعمل أبناؤه جنودا في جيش القائد الديلمي (ماكان بن كاكي)، وقد أتاحت لهم مواهبهم العسكرية الوصول الى مراكز هامة في جيشه. وكان ولاء الجند في مثل هذا النظام للقائد الذي يتولى الانفاق عليهم، وجرت العادة أن ينتقل هؤلاء الجند من خدمة رئيس الى خدمة اخر، حسب الظروف الاقتصادية المرتبطة

(١) الاصلطخري، المسالك والممالك، طبعة ١٩٦١، ص ١٢١

(٢) الكامل، ج ١، ص ١٤٢

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٦، ص ٢٧٠. ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٠٤. ابن خلكان وفيات الاعيان، ج ١، ص ٦٩

(٤) الشيال، تاريخ الدولة العباسية، ص ٤٨. فاضل الخالدي، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، بغداد ١٩٦٩، ص ٣.

(٥) ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢٠٣، القزويني، آثار البلاد، ص ٢٢١

بكثرة الغنائم وقتلتها، فلما ضعف أمر (ماكان بن كاكي) على أثر هزيمته امام (مرداويج زيار الديلمي) ^(١) وعجز نوعا ما عن ضمان الارزاق للجند تفرق عنه كثير من أصحابه، ومنهم علي بن بويه واخوته، وطلبوا السماح لهم بالانتقال إلى خدمة (مرداويج)، فتم لهم ذلك، ورحب مرداويج بهم، واغدى عليهم الأموال، وولى عليا بن بويه حكم بلاد الكرج الواقعة بين همدان وأصبهان ^(٢).

غير ان مرداويج ما لبث أن ندم على تولية علي بن بويه بلاد الكرج، فكتب إلى اخيه وشمكير في الري وإلى أبي عبد الله الحسين بن محمد الملقب بالعميد يأمرها بصرف أولاد بويه ومنعهم من الوصول الى بلاد الكرج، الا أن رغبة مرداويج هذه لم تتحقق، اذ تمكن علي بن بويه من الوصول إلى مقر عمله بمساعدة أبي عبد الله نفسه ، واستقر في حكم البلاد، وظهر كفاءة ومقدرة في تصريف الأمور، وأحسن إلى أهلها فحظي بتأييد الجند ومال الناس اليه ^(٣).

الا أن عليا بن بويه لم يلبث أن فارق بلاد الكرج بعد أن جبي ضرائبها لمدة عام كامل، وسار نحو الجنوب واستولى على اصبهان سنة (٣٢١ هـ) بعد انتصاره على ابي الفتح ياقوت عامل العباسيين على المدينة ^(٤) ، وقد زادت تحركات ابن بويه هذه من مخاوف مرداويج فصمم على القضاء عليه، وأنفذ إليه جيشا بقيادة أخيه وشمكير وكانت سياسة بويه في هذه المرحلة تقضي بعدم الاشتباك مع قوات مرداويج وبالاتبعاد عن متناول يده قدر الإمكان، ولذلك فانه ما أن سمع بتحرك جيش وشمكير نحوه حتى انسحب من اصبهان متجها نحو أرجان فدخلها في ذي الحجة من عام ٣٢١ هـ من غير حرب بعد أن هرب اميرها (ابو بكر بن ياقوت)، وشرع بجباية ضرائبها التي بلغت ألفي الف درهم، ثم فارقها خوفا من اجتماع مرداويج واخيه وشمكير على حربه، وتوجه إلى مدينة اصطخر وانتصر على المظفر بن ياقوت، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على شيراز بعد أن خاض معركة عنيفة في سنة ٣٢٢ هـ ^(٥)

(١) كان مرداويج قد فتح طبرستان في سنة ٣١٤ هـ وأسس الامارة الزيارية التي امتد نفوذها من غربي ايران حتى الأحواز ، الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ٧٢ ، ٢٤٣ .

(٢) الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٦٧ .

(٣) الخالدي، الحياة السياسية ونظم الحكم ... ص ٤٠٣ . الزبيدي، العراق في العصر البويهي ، مصر ١٩٦٩، ص ٣١٣٠.

(٤) مسكوية، تجارب الأمم ج ٥ ، ص ٢٩٦ . ابن الأثير، الكامل ج ٨ ، ص ٢٧٠ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٧١

اتصال البويهيين بالخلافة العباسية

اقام علي بن بويه فترة في شيراز، انصرف خلالها إلى تنظيم اموره المالية، وتدعيم نفوذه في البلاد، ثم تطلع للحصول على تفويض الخلافة واعترافها بشرعية حكمه، فأرسل الى الخليفة الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩هـ) . يلتمس التفويض بالحكم، وتعهّد بدفع مبلغ ثمنائة مليون درهم إلى دار الخلافة في كل عام. وكانت ظروف الخلافة آنذاك سيئة وحاجتها إلى المال شديدة، فلم يتردد الخليفة بالموافقة على طلبه وارسل اليه الخلع ومنشور التفويض مع احد رسله، واوصاه بأن لا يسلم ابن بويه شيئاً حتى يقبض المال المتفق عليه، فلما وصل رسول الخليفة شيراز خرج على بن بويه لاستقباله وأخذ الخلعة، وقرأ على الناس تفويض الخليفة واعترافه بحكمه على البلاد، غير انه ماطل في دفع الأموال واستبقى رسول الخليفة عنده حتى ادركته الوفاة في شيراز سنة ٣٢٣هـ^(١).

وكان لحصول ابن بويه على تفويض الخلافة واعترافها، أثر بالغ في نفس مرداويج الذي ثارت ثائرتة، وعزم على القضاء على نفوذه، فانفذ جيشاً كبيراً إلى منطقة الأحواز، ليقطع بذلك الطريق على ابن بويه في الوصول إلى بغداد، وقد تمكن هذا من تحقيق هدفه، فاستولى على الاحواز، فأثار ذلك مخاوف على بن بويه، وادرك أن مصلحته في هذه الظروف تقضي الاتفاق مع مرداويج وعدم التورط معه بحرب جديدة، فعرض عليه في مرونة سياسية أن يدخل في طاعته ويكون تابعا له في حكمه ويخطب باسمه في بلاده، واثباتاً لحسن نيته ارسل علي بن بويه اخاه الحسن بن بويه ليكون رهينة عنده على الوفاء^(٢).

غير أن مرداويج لقي مصرعه بعد فترة قصيرة على يد جماعة من الاتراك الذين كانوا يؤلفون جزءاً من جيشه، بسبب سوء معاملته لهم وتفضيله الديلم عليهم وذلك في سنة ٣٢٣ هـ^(٣) وتفرق كثير من جند الديلم بعد مع مرداويج بن زيار، وانضم فريق منهم إلى علي بن بويه، واتفق من بقي منهم على طاعة وشمكير بن زيار، وقد إتاح مصرع مرداويج للبويهيين تحقيق أهدافهم التوسعية، فاستولوا على اصبهان والري، ودخل

(١) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ٢٠٥-٢٠٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ٢٧٧ .

(٢) مسكوية ، تجارب الامم ، ج٥ ، ص ٣١٠ . الكامل ، ج٨ ، ص ٢٨٦ .

(٣) الكامل ، ج٨ ، ص ٢٩٨ .

احمد بن بويه الأحواز سنة ٣٢٦ هـ على الرغم من المقاومة التي قوبل بها في هذه المنطقة، ويسط البويهيون نفوذهم على بلاد فارس والاحواز والري واصفهان وهمدان وشمال العراق (اقليم الجبال) ^(١).

وتطلع احمد بن بويه إلى الاستيلاء على بغداد، وكانت أحوال الخلافة انذاك مضطربة على أثر الخلاف الذي قام بين الخليفة المتقي وامير الأمراء توزون التركي، فشرع احمد بن بويه في مهاجمة أملاك الدولة العباسية في سنة ٣٣٢ هـ، ووصل إلى ديارى واصبح على مشارف بغداد، الا أن توزون ما لبث أن تصدى له ودارت معركة كبيرة على ضفاف نهر ديارى استمرت بضعة عشر يوما، وانتهت بهزيمة أحمد بن بويه في اليوم (الرابع من ذي الحجة سنة ٣٣٢ هـ) ^(٢) ، غير أن الظروف لم تلبث ان سنحت للبويهيين بدخول بغداد، على أثر وفاة الأمير توزون في سنة ٣٣٣ هـ ، وتولي كاتبه (ابن شيرزاد) منصب امير الأمراء ^(٣). فقد عم الاضطراب نواحي العراق في عهد الخليفة المستكفي، وعمد جماعة من أمراء الجند الى مراسلة احمد بن بويه يطلبون اليه المسير الى بغداد، فرحل عن الاحواز، ودخل بغداد في (الحادي عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة ٣٣٤ هـ) ، فاحتفى الخليفة بقدمه، وخلع عليه، فبايعه أحمد بن بويه وحلف له باغظ الإيمان، كما حلف المستكفي لاحمد واخويه وكتب بذلك كتابا، وعقد له لواء امرة الامراء ولقبه (معز الدولة)، كما لقب اخاه عليا عماد الدولة) واخيه الحسن (ركن الدولة)، وامر ان تنقش القابهم وكناهم على الدنانير والدرهم ^(٤)

وما أن استتب الأمر لمعز الدولة البويهي في بغداد حتي استأثر بالسلطة دون الخليفة، ووضع يده على جميع أملاكه، وخصص له راتبا قدره خمسة آلاف درهم في كل يوم لم يلبث أن أمر بقطع هذا الراتب وحدد له اقطاعات ليسد منها نفقاته ^(٥)، ثم اظهر البويهيون ما كانوا يضمرونه لخلفاء بني العباس فعمدوا إلى خلع المستكفي في جمادى الآخرة من سنة ٣٣٤ هـ، واعتقلوه بدار معز الدولة بعد ايام قليلة من دخولهم

(١) ابن الجوزي، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٧١

(٢) ابن الاثير، الكامل ، ج ٨ ، ص ٤٠٨

(٣) ابو الفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٩٩

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٤٠

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٠٧ . الزبيدي، العراق في العصر البويهي ، ص ٣٣ .